

## ملف مرجعي

### انتفاضة الأقصى

### العمليات العسكرية والخسائر والهجمات الاستشهادية والاعتقالات خلال الأعوام الأربعة الأولى\* [مقتطفات]

ميشال ك. إسبوزيتو\*\*

[.....]

### (أ) نظرة عامة إلى العمليات الإسرائيلية منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في 28 أيلول/سبتمبر 2000 حتى أواسط تشرين الثاني/نوفمبر 2004

في العام الأول للانتفاضة التي اندلعت في 28/9/2000، لم يكن هناك إلا القليل من "العمليات" التي تسمى بهذا الاسم. فخلال الأشهر الأولى، أيام كان إيهود براك لا يزال رئيساً للحكومة، وكانت مساعي السلام لا تزال جارية، كان نشاط الجيش الإسرائيلي العسكري يتسم أساساً بإغلاق المراكز السكانية الفلسطينية وعزلها، ومراقبة الطرق للحد من الاحتكاك بين الفلسطينيين والإسرائيليين، واستخدام القوة المفرطة جداً بصورة مدروسة لتحطيم الاحتجاجات. ففي تشرين الأول/أكتوبر 2000 وحده، وفي وقت كان الفلسطينيون لا يستعملون إجمالاً إلا الحجارة، وعلى نطاق ضيق قنابل مولوتوف والأسلحة النارية، قُدِّر مدير استخبارات الجيش الإسرائيلي عاموس ملكا، وضابط استخبارات القيادة المركزية، يوسي كويرفاسر، أن الجيش الإسرائيلي أطلق ما بين 850.000 و1.300.000 رصاصة من عيار 5.56 (أي قرابة 28.000 إلى 33.000 رصاصة في اليوم).<sup>(1)</sup> وقد استمر هذا النمط حتى فترة متقدمة من ولاية أريئيل شارون، مع تصعيد حاد في القوة، إذ راحت ردت الفعل الفلسطينية تنحو بازدياد منحى مسلحاً.

انتهج براك تكتيكاً أصبح فيما بعد حجر الزاوية في تعامل خلفه مع الانتفاضة. وفي 29 تشرين الأول/أكتوبر، ومع تصاعد الصدامات وبعد أول عملية استشهادية فلسطينية في الانتفاضة (الجهاد الإسلامي، أصيب فيها جندي إسرائيلي إصابة طفيفة)، في 26/10/2000، بدأ براك تنفيذ خطة وضعها رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، شأؤول موفاز، تهدف إلى الضغط على رئيس السلطة الفلسطينية، ياسر عرفات، لوقف أعمال العنف الفلسطينية، وذلك عبر استهداف القوة 17 من قوات "فتح" (وهي الحرس الرئاسي لعرفات) بهجمات على مكاتبها، ومخافرها الأمنية، وأفرادها. وقد نفذ الجيش الإسرائيلي أول عملية اغتيال مقصودة في 9/11/2000. وبدا أن الاستراتيجية الجديدة لم تؤدِّ إلا إلى زيادة العنف الفلسطيني، بينما راحت تضعف سيطرة عرفات على قوات الأمن الفلسطينية. ظلت أعمال العنف تتصاعد حتى 10/12/2000 حين قدم براك استقالته ودعا إلى انتخابات عامة. وعلى خلفية الانتخابات الإسرائيلية المقبلة وتقديم الرئيس بيل كلينتون في 23/12/2000 معايير لدفع عملية السلام إلى الأمام، تراجع حدة العنف الإسرائيلي - الفلسطيني بصورة ملحوظة مروراً بأول كانون الثاني/يناير 2001 حتى انتخاب شارون رئيساً للحكومة في 6/2/2001.

أطلق شارون في 7/3/2001، أي يوم توليه السلطة، عملية "البرونز"؛ وهي في جوهرها تكثيف للتكتيكات التي كانت موجودة أصلاً في تعامل براك مع الانتفاضة. لكن بينما كان براك يقصف بصورة متقطعة المناطق

الأهلة، ويقوض المباني، ويجرف الأراضي الزراعية الفلسطينية، وينشر الدبابات، وطائرات الهليكوبتر المقاتلة، والصواريخ ضد المتظاهرين، علاوة على الاغتيالات، أصبح لجوء شارون إلى هذه التدابير أمراً روتينياً. وبعد أن سمح رئيس الحكومة وزملاؤه في "المطبخ الصغير" (المكون من وزير الدفاع بنيامين بن - إيلعيزر، ووزير الخارجية شمعون بيرس) لطائرات ف - 16 "بالقاء قنابل زنة طن واحد على أهداف أمنية تابعة للسلطة الفلسطينية في مدن غزة ونابلس ورام الله وطولكرم، مبتدئاً بذلك أول استخدام إسرائيلي للطائرات الحربية في الأراضي الفلسطينية منذ حرب 1967، حدت الحكومة بكامل أعضائها (2001/5/20) أنواع الأعمال العسكرية التي يمكن القيام بها من دون موافقة الحكومة بكامل أعضائها أو الحكومة الأمنية المصغرة، وحصرتها في الاغتيالات واستهداف منشآت تصنيع الأسلحة الفلسطينية أو تخزينها، وقواعد تدريب "الإرهابيين" وبناهم التحتية. ومع ذلك، فإن الحكومة الكاملة لم تكن مخالفة لرئيس الحكومة، إذ إنها أقرت في صيف سنة 2001 خطتين متتاليتين: الأولى (حزيران/يونيو 2001) انطوت على "اجتياح بكامل القوة"، وإعادة احتلال أراضي السلطة الفلسطينية، والثانية (تموز/يوليو 2001) نصت على تفويض السلطة الفلسطينية وقواتها الأمنية. ومع أن الخطتين ظلتا معلقتين فترة من الوقت، فقد نفذتا فعلياً في الربيع التالي ضمن نطاق عملية "السور الواقى" (Defensive Shield) وما تلاها.

وعلى الرغم من التصعيد الحاد للانتفاضة في ظل حكومة شارون، فإن أعمال الجيش الإسرائيلي لم تبدأ جدياً العمليات الموسومة بتسميات إلا ابتداء من آب/أغسطس 2001: هدف واضح؛ إطار زمني محدد؛ نشر قوات ضخمة؛ إغلاق المنطقة المستهدفة؛ فرض حظر التجول؛ وإلى ما هنالك. (حتى عملية "البرونز" لم تكن عملية بالمعنى الحقيقي بقدر ما كانت خطة استراتيجية لمواجهة الانتفاضة). ومع عملية "الرحلة الملونة" (Colorful Journey) في أواخر شباط/فبراير 2002، بدأت جدياً العمليات ذات التسمية. وباستثناء تراجع نسبي من تشرين الثاني/نوفمبر 2002 إلى تشرين الأول/أكتوبر 2003، مراعاة للجهود الدبلوماسية المكثفة، فإن هذه العمليات توالى بانتظام منذ ذلك التاريخ. (غير أن انعدام العمليات العسكرية لم يكن يعني انعدام النشاط العسكري: يبلغ عدد القتلى الفلسطينيين خارج نطاق العمليات ضعف عددهم ضمن "العمليات").

ومع تفويض البنية التحتية لقوات الأمن الفلسطينية فعلياً بحلول شتاء سنة 2002، بدأت عمليات الجيش الإسرائيلي سنة 2003 تتحول في اتجاه رسم خطوط أمنية جديدة في الضفة الغربية وغزة، وتمهيد السبيل أمام إسرائيل لتقدم من جانبها على فك الارتباط مع غزة. وابتداءً بعملية "الطليلة" (Vanguard)، و"القناة الجذر" (Root Canal) في تشرين الأول/أكتوبر 2003، بات الهدف إقامة مناطق عازلة على طول حدود غزة الشمالية والجنوبية، والقضاء على أقوى جيوب المقاومة الفلسطينية (غزة وجنين ونابلس). وكانت العمليات تجري بالتوازي مع بناء الجيش الإسرائيلي لجدار الفصل في الضفة الغربية (بوشرت الخط في نيسان/أبريل 2002 وتسارعت عمليات البناء في آذار/مارس 2003) لخلق منطقة عازلة موازية للخط الأخضر في الضفة الغربية، وتعزيز الضم الفعلي للمستوطنات اليهودية حول القدس، وربما لتوسيع منطقة جدار الفصل العازلة عبر وادي الأردن، بحيث توازي الحدود الفاصلة بين الضفة الغربية والأردن.

والعمليات المدرجة أدناه هي تلك التي وافقت عليها الحكومة الإسرائيلية الأمنية المصغرة أو الحكومة بكامل أعضائها وأعلنت على الملأ: التسميات الخاصة هي تسميات الجيش الإسرائيلي. كل التصريحات المتعلقة بالأهداف تصدر عن مسؤولين إسرائيليين أو عن ناطقين رسميين. ونظراً إلى كون العمليات (مثلاً: عملية "الطليلة") لا تختلف بأية طريقة منظورة عن كثير من أعمال الجيش الإسرائيلي المكثفة ضد أماكن محددة (مثل التسلل إلى جنين، 2004/10/27 - 2004/11/15)، فمن المحتمل جداً أن عدداً من "العمليات" المسمى بهذا الاسم من جانب الجيش الإسرائيلي لم يتم إعلانه.

### عملية "البرونز" (خطة المئة يوم)، 3/7 - 2001/6/14 (٩)

أول عملية مسماة - عملية "البرونز" - أطلقها أريئيل شارون يوم توليه السلطة. ومع أن إسرائيل لم تؤكد التفاصيل رسمياً قط، فإن الخطة انطوت على تقسيم الضفة الغربية وغزة عبر الحصار العسكري إلى 64 وحدة، يمكن أن تعامل كل واحدة منها بصورة منفصلة عن الأخرى، أو تعزل تماماً بحسب ما ترى السلطات العسكرية

(المناطق "المشعبة" يمكن أن تعزل والمناطق "المتعاونة" يمكن أن "تكافأ" بتخفيف القيود)، مع جرف الأراضي الزراعية الفلسطينية، وتقييد حركة الفلسطينيين، وتعزيز ربط المستوطنات. كما صعّد الجيش الإسرائيلي الاغتيالات، واجتاح لأول مرة المنطقة الخاضعة للسلطة الفلسطينية (بدءاً من 2001/4/1)، واستعاد لفترة من الزمن (17 - 4/18) منطقة بيت حانون الحدودية في شمال غزة، ولم ينسحب إلا تحت ضغوط أميركية شديدة. ولم تعلن إسرائيل نهاية العملية، واستمرت في استخدام هذه التكتيكات حتى اليوم. كما سميت العملية "خطة المئة يوم"، في إشارة محتملة إلى الفترة الأصلية لقسمه المناطق إلى 64 منطقة، التي استمرت حتى حزيران/يونيو. وقد تصاعدت الهجمات الفلسطينية رداً على العملية.

### أول خطة لإعادة احتلال المراكز الفلسطينية الأهلة، 2001/6/2 (أقرت لكن علقت قبل التنفيذ)

بعد عملية "حماس" الاستشهادية في نادي دولفيناريوم الليلي في تل أبيب في 2001/6/1 (22 قتيلاً إسرائيلياً، وأكثر من 80 جريحاً)، أقر شارون وحكومته الأمنية المصغرة (2001/6/2) عملية غير مسماة "لشن اجتياح مكثف بكامل القوة" لأراضي السلطة الفلسطينية. وكان المفترض في العملية التي قرر لها أن تستمر أسبوعاً أن تضم على "الأقل فرقتين من المظليين والمشاة - المعززتين بأعداد كثيرة من طائرات ف - 16 وطائرات ف - 15 المقاتلة الأميركية الصنع، وطائرات أباتشي الهليكوبتر العسكرية" - وأن تستهدف المناطق الفلسطينية الأهلة الكبرى كافة. واستناداً إلى مسؤول إسرائيلي "كان من المفترض استعادة أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة غير محددة من الزمن... ومن الأهداف الأخرى للعملية... دفع عرفات إلى المنفى." وتحت الضغط الأميركي، أصدر عرفات نداء لوقف إطلاق النار، ووضع شارون العملية المخطط لها على الرف مؤقتاً.

### "القضاء على السلطة الفلسطينية وتجريد كل القوى المسلحة من السلاح"، 2001/7/8 (أقرت ووضعت على الرف للاستعمال في المستقبل)

بحلول أواسط حزيران/يونيو 2001، كان العنف تراجعاً ملحوظاً بفضل الجهود الأميركية (تقرير ميتشل الصادر في 2001/5/4 وخطة عمل تينيت الصادرة في 2001/6/11) لضمان وقف متبادل لإطلاق النار، وبفضل مساعي عرفات للجم المناضلين الفلسطينيين. غير أن شارون أصر على أن إسرائيل لن تنفذ التزاماتها بموجب الخطة إلا بعد مرور ستة أسابيع من الهدوء التام من الجانب الفلسطيني ("من دون أية رمية حجر"). ولما لم يتحقق "الهدوء التام" بحلول 2001/7/3، عقد شارون جلسة لحكومته لمناقشة "هجوم كامل" على السلطة الفلسطينية إذا ما تخلت رسمياً عن الجهود من أجل وقف إطلاق النار. كما تلقى شارون إذناً من الحكومة في تصعيد عمليات الاغتيال باعتبارها "دفاعاً نشيطاً عن النفس". وفي 2001/7/8، وافقت الحكومة على وضع حد "لسياسة ضبط النفس"، واعتمدت صيغة معدلة لخطة الموضوع في 2001/6/2 والمسماة "القضاء على السلطة الفلسطينية وتجريد كل القوى المسلحة من السلاح" لتنفيذ بعد الهجوم الاستشهادي الفلسطيني التالي. صعّد الجيش الإسرائيلي عمليات الاغتيال، وتقويض المنازل، وجرف الأراضي. وعقب عملية استشهادية للجهاد الإسلامي يوم 2001/7/16 في بنيامين، داخل إسرائيل (قتل فيه جنديان في الجيش)، عزز الجيش الإسرائيلي قواته في الضفة الغربية، وبدأ متأهباً لإطلاق خطة "القضاء على السلطة"، لكنه تراجع جرّاء ضغط مارسته الولايات المتحدة، التي حثت إسرائيل على تأجيل أي هجوم إلى ما بعد انتهاء قمة الثمانية الكبار في 2001/7/22. ونفذت خطة موفاز الأكثر تواضعاً بدلاً من ذلك، وإن كانت إسرائيل حذرت من أنها ما تزال "تناقش اجتياحاً شاملاً للضفة الغربية رداً على أية عملية استشهادية مقبلة".

## خطة موفاز لاستدراج قوات الأمن الفلسطينية إلى القتال المباشر، 2001/9/17 - 8/9

هجمات مدبرة على المخافر الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة: أول اقتحام لمركز سكاني تابع للسلطة الفلسطينية (جنين): أول إعادة احتلال للمنطقة أ (بيت جالا): مقتل 5 ضباط من قوات الأمن الفلسطينية، وإصابة 14 ضابطاً، و31 مدنياً: لا إصابات إسرائيلية.

في 2001/8/9، يوم تفجير "حماس" لمطعم سبارو بيتزا في القدس الغربية (15 قتيلاً و90 جريحاً)، وافق الجيش الإسرائيلي على إطلاق استراتيجيا جديدة وضعها موفاز، رئيس هيئة الأركان، تهدف إلى مهاجمة أهداف تابعة للسلطة الفلسطينية على أمل استدراج قوات الأمن الفلسطينية إلى قتال تقليدي، بحيث يضطر عرفات إلى الاختيار بين "وقف حقيقي لإطلاق النار" وبين تقويض السلطة الفلسطينية. بدأت خطة موفاز بغارات شنتها مقاتلات ف - 16 على مركز لقوات الأمن الفلسطينية في رام الله، واحتلال بيت الشرق وإغلاقه (وهو وزارة الخارجية الفلسطينية الرمزية) في القدس الشرقية، وهجوم بري على مركز لقوات الأمن الفلسطينية في غزة. واستمر استهداف مراكز قوات الأمن الفلسطينية بعنف حتى 9/18. وفي هذه الأثناء، أرسل الجيش الإسرائيلي الدبابات والجرافات إلى جنين في 2001/8/13، مبتدأ أول اقتحام لمركز سكاني كبير خاضع للسلطة الفلسطينية في المنطقة أ، وأرسل المشاة إلى بيت جالا قرب بيت لحم في 28 - 8/30. مبتدأ أول إعادة احتلال للمنطقة أ. وإذ تشجعت إسرائيل بهجمات 11 أيلول/سبتمبر على الولايات المتحدة، كتفت عمليات الاقتحام، والقصف، والجرف، وراح شارون يساوي بين حاجة إسرائيل إلى ضرب الفلسطينيين وبين حاجة أميركا إلى مواجهة القاعدة. وتحت ضغوط "شديدة" مارستها الولايات المتحدة فيما قبل على الطرفين، علقت إسرائيل استهدافها مراكز قوات الأمن الفلسطينية، والاعتقالات، واقتحام المنطقة أ، وسحبت قواتها من هذه المنطقة؛ بينما أمر عرفات قوات الأمن بعدم الرد على إطلاق النار حتى إن هوجمت، وبالتشدد حيال المتظاهرين والمناضلين، كما ضغط بلا طائل على "حماس" لالتزام وقف أحادي الجانب لإطلاق النار. تصاعدت الصدمات ثانية في الذكرى الأولى للانتفاضة، في 2001/9/27.

## أول عملية إعادة احتلال واسعة لمناطق فلسطينية، 2001/11/26 - 10/18

إعادة احتلال المراكز السكانية الفلسطينية الكبرى في الضفة الغربية (بيت جالا، بيت لحم، جنين، نابلس، قلقيلية، رام الله، طولكرم): وقوع نحو 62 قتيلاً فلسطينياً ومقتل ضابط إسرائيلي، و100 جريح فلسطيني.

في 2001/10/17، وبعد ساعات من قيام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باغتيال وزير السياحة رحبعام زئيفي في القدس الشرقية (رداً على اغتيال إسرائيل الأمين العام لهذه الجبهة أبو علي مصطفى في 8/27)، وافقت الحكومة الأمنية الإسرائيلية المصغرة على مطلب شارون بشن "حرب شاملة على الإرهابيين، والذين يتعاونون معهم، والذين يرسلونهم" وعلى الفور نشر الجيش الإسرائيلي طائرات الهليكوبتر الحربية فوق مدن الضفة الغربية، ونقل الجنود إلى المشارف الخارجية للمنطقة أ، في جنين. احتل الجيش الإسرائيلي جنين ونابلس ورام الله في 10/18، وأقسم ألا ينسحب حتى تقمع السلطة الفلسطينية المناضلين وتعتقل المسؤولين عن اغتيال زئيفي. أعيد احتلال بيت لحم وبيت جالا في 10/19، وقلقيلية وطولكرم في اليوم التالي. وبحلول 10/22 كان الجيش الإسرائيلي قد احتل كل المراكز السكانية الفلسطينية أو طوقها، بينما راحت عمليات الاغتيال التي ينفذها تتصاعد. ورداً على التصعيد الإسرائيلي أطلق الاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة والولايات المتحدة، في 10/22 مبادرة دبلوماسية لتهدئة الوضع. وتحت الضغط الذي مارسه الأربعة، بدأ الجيش الإسرائيلي ينسحب من المناطق التي أعيد احتلالها ابتداء من 10/28، وأنجز انسحابه النهائي من جنين في 2001/11/26.

## العملية الثانية ضد قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية

2001/12/10 - 12/3

الجولة الثانية من الغارات الجوية المدبرة على مراكز قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية ومكاتبها في

الضفة الغربية وغزة (ولا سيما رام الله ومدينة غزة): الهجمة الأولى على مقر عرفات (بداية "عزل عرفات): مقتل 15 فلسطينياً، وجرح 175 على الأقل؛ لا قتلى إسرائيليين.

في 12/3، ورداً على ثلاث هجمات استشهادية شنتها "حماس" (25 قتيلاً؛ 220 جريحاً) في 12/1 و12/2 (انتقاماً لاغتيال إسرائيل قائد كتائب عز الدين القسام، محمود أبو هنود، في 23/11/2001)، أجازت الحكومة الإسرائيلية لشارون أن يشن "حرباً على الإرهاب" من شأنها أن تشمل على طيف من الأعمال العسكرية "أوسع نطاقاً" مما جرى حتى ذلك التاريخ. وفي اليوم نفسه، بدأ الجيش الإسرائيلي عملية دامت أسبوعاً اشتملت على غارات جوية استهدفت مقر ياسر عرفات (عزل عرفات في "المقاطعة" منذ ذلك الوقت)، ومكاتب السلطة الفلسطينية في مدينتي غزة ورام الله، علاوة على القوة 17، والاستخبارات العسكرية للسلطة الفلسطينية، ومخافر قوى الأمن الفلسطينية على امتداد الأراضي المحتلة، كما أن الاغتيالات تزايدت. وكان من شأن سلسلة هجمات "حماس" أن أوهنت بصورة جدية دعم إدارة جورج بوش الضعيف أصلاً للتدخل في عملية السلام. وعندما تصاعد العنف جرّاء عملية إسرائيل، أكدت الولايات المتحدة "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها"، ولامت عرفات ودعته إلى "القضاء على البنى الرسمية وغير الرسمية التي تواصل الإرهاب".

### "الرد المتدرج" (Rolling Response) على "حماس"، 2/11 - 2002/2/21

عملية مستمرة على امتداد الأراضي المحتلة تستهدف في الدرجة الأولى "حماس"، وتشتمل على إعادة احتلال جنين في الضفة الغربية وأجزاء من غزة: غارات مكثفة على مدينتي نابلس وغزة؛ وغارات طائرات ف-16 على خان يونس ونابلس ورفح ورام الله، مقتل 63 فلسطينياً، و17 إسرائيلياً (11 جندياً، و6 مستوطنين يهود).<sup>(2)</sup> أدى الاستيلاء على سفينة "كارين آي" (Karine A) المحملة بالأسلحة، في 4/1/2002، إلى قطع واشنطن كل اتصالاتها بعرفات، وتبني الولايات المتحدة بالكامل مساواة شارون بين حرب الولايات المتحدة وحرب إسرائيل "على الإرهاب". وفي أعقاب الحادثة دعا بوش شارون إلى البيت الأبيض، في 7/2/2002، كلفتة رمزية للتضامن، وتوبيخ شديد للهجة لعرفات. وفور عودة شارون إلى إسرائيل في العاشر من الشهر، وافقت حكومته على "رد متدرج" على "حماس"، وأقسمت أن ترد الضربة إليها بقسوة كلما أطلق صاروخ أو تمت هجمة على أهداف إسرائيلية. بدأت إسرائيل تصعد أعمالها العسكرية في اليوم الحادي عشر لا ضد "حماس" فحسب، بل أيضاً ضد كتائب شهداء الأقصى، وقوات الأمن الفلسطينية، وسواها من الجماعات. وعندما هدد العنف من جانب الطرفين بالخروج عن السيطرة، تدخلت الولايات المتحدة (2/21) وحصلت على تعهدات من إسرائيل بعدم القيام بأية أعمال لمدة أسبوع (إلا للوقاية من الهجمات الإرهابية)، ومن عرفات باتخاذ خطوات كفيلة بلجم العنف الفلسطيني. تراجعت حدة الصدامات تراجعاً ملحوظاً، لكنها استمرت على مستوى معتدل.

### عملية "الرحلة الملونة"، 2/28 - 2002/3/19

اجتياحات واسعة النطاق لمخيمي جنين وبلاطة (كسر "التابو" بالنسبة إلى اقتحام المخيمات)، وعقب ذلك غارات على البلدات والقرى ومخيمات أخرى في الضفة الغربية وإلى حد أقل في غزة: قتل 237 فلسطينياً، وجرح 100، واعتقال أكثر من 2500، وتدمير أو إصابة 1800 منزل فلسطيني بأضرار جسيمة؛ قتل 20 جندياً إسرائيلياً، و3 مستوطنين.

عقب تفجير استشهادي يوم 27/2/2002 من جانب كتائب شهداء الأقصى على حاجز للجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية (جرح فيه 3 جنود)، اطّرح الجيش الإسرائيلي تعهده بعدم المبادرة إلى الهجوم وأطلق عملية الرحلة الملونة (أقر الجيش الإسرائيلي أن العملية تم التخطيط لها قبل أيام، الأمر الذي يدل على أن الحكومة ربما كانت أقرتها في 10/2 مع عملية "الرد المتدرج"). كانت الغاية الرسمية اعتقال الفلسطينيين المطلوبين، وإن لم يعتقل حينها إلا 6 من مجموع 250 على لائحة المطلوبين الإسرائيلية. وفي 28/2 أعلن رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، الميجر جنرال يتسحاق إيتان، الغاية الحقيقية من وراء العملية: "كسر التابو المتعلق بدخول مخيمات اللاجئيين".

بدأت العملية في 28 - 29/2 بغارات واسعة النطاق على مخيمات الضفة الغربية، ولا سيما بلاطة وجنين

(وكلاهما من معاقل كتائب شهداء الأقصى)، اللذين ظلا محور العملية طوال الأسبوع الأول. وعندما زاد العنف الفلسطيني بدلاً من أن يتراجع، وسع الجيش الإسرائيلي الحملة (ابتداء من 3/7) لتشمل باقي المخيمات والمدن الفلسطينية؛ فأرسل 20.000 جندي إلى رام الله وحدها في 3/12. وكانت الأهداف الرئيسية في الضفة الغربية هي مخيمات اللاجئين في: عايدة (7 - 3/15)؛ الأمعري (11 - 3/15)؛ بلاطة (2/28 - 3/18)؛ الدهيشه (7 - 3/15)؛ جنين (1 - 3/4، 7 - 3/18)؛ طولكرم (7 - 3/15)؛ ومدن: بيت جالا (نحو 14 - 3/18)؛ بيت لحم (7 - 3/18)؛ وقليلية (10 - 3/15)؛ رام الله (12 - 3/14). وقام الجيش الإسرائيلي أيضاً بغارات واسعة النطاق على: بيتونيا (نحو 3/11)؛ خزاعة (نحو 3/8)؛ نور الشمس (نحو 3/7) في الضفة الغربية؛ وعلى البريج (نحو 3/11)؛ جباليا (نحو 3/11)؛ رفح (نحو 3/4) في غزة. أما تواريخ دخول الجيش الإسرائيلي وانسحابه من هذه الأماكن فغير واضحة. أحكم الإغلاق بالنسبة إلى بقية المراكز السكانية الفلسطينية الكبرى، وشدت غارات أرضية وبحرية وجوية على عدة قرى على امتداد الضفة الغربية وقطاع غزة، وعلى مدينة غزة نفسها. بدأت إسرائيل تخفف نطاق عملياتها عندما بعثت الولايات المتحدة مبعوثها الخاص أنتوني زيني، في 3/14، لتأمين وقف إطلاق النار، وأوقفتها تماماً مع وصول ديك تشيني، في 3/18، ضمن جولة في المنطقة.

### عملية "السور الواقي"، 3/29 - 2002/5/10

هجوم عام على المراكز السكانية في الضفة الغربية ومخيم جنين؛ غارات كبرى على قرى الضفة الغربية ومخيماتها: 250 - 320 قتيلاً من الفلسطينيين، و32 جندياً إسرائيلياً؛ مئات الجرحى الفلسطينيين، وأكثر من 5000 معتقل؛ هدم أو إصابة 2260 منزلاً بأضرار فادحة في جنين ونابلس؛ تقويض واسع النطاق وتفكيك البنية التحتية للسلطة الفلسطينية.

ظل زيني، مبعوث الولايات المتحدة، في إسرائيل من 3/14 إلى 3/26، يقوم بجولات مكوكية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، ويحاول عبثاً وقف العنف وإحياء محادثات التنسيق الأمني بين الطرفين. وبعيد رحيله شنت إسرائيل عملية "السور الواقي"، التي كان هدفها المعلن عزل عرفات (المحتجز في "المقاطعة" في رام الله منذ 2001/12/5)، وضرب معنويات الفلسطينيين بحيث يصبحون أقرب إلى القبول بمطالب إسرائيل في المفاوضات، واعتقال "الإرهابيين"، وتفكيك "البنية التحتية للإرهاب". أما الأهداف غير المعلنة - وهي تفكيك السلطة الفلسطينية، والبنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية - فقد صورت باعتبارها من الآثار الجانبية المؤسفة للعملية.

ركزت عملية "السور الواقي" على المراكز السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية. وكان من أهدافها الأولية رام الله (3/29 - 5/1)؛ بيت لحم (4/1 - 5/10)؛ مخيم جنين (3 - 4/19)؛ نابلس (3 - 4/21)، مع قليلية (3/31 - 4/9)؛ وطولكرم (1 - 4/9) كأهداف ثانوية. كما قام الجيش الإسرائيلي بغارات كبرى على كثير من القرى ومخيمات اللاجئين. كانت العمليات واسعة النطاق إلى حد أن تحديد التواريخ الدقيقة لدخول الجيش الإسرائيلي وخروجه بات في كثير من الأحيان يصعب التأكد منه. ويبدو أن أبرز هذه العمليات الجانبية هي التالية (مدرجة بحسب تسلسلها الزمني؛ ويرمز الحرف ب إلى بدايتها، أو إلى أول تقرير مؤكد لها): عايدة (ب 4/1)؛ الدهيشه (نحو 1 - 4/16)؛ بيت جالا (ب 4/2)؛ طمون (ب 4/3)؛ تياسير (ب 4/3)؛ طوباس (ب 4/3)؛ عسكر (ب 4/5)؛ يطة (نحو 5 - 4/10)؛ قباطية (نحو 6 - 4/10)؛ تلّ (ب 4/6)؛ دورا (نحو 9 - 4/25)؛ العين (ب 4/10)؛ السموع (ب 4/10)؛ عين بيت حملاً (ب 4/11)؛ بير زيت (ب 4/11)؛ الظاهرية (ب 4/11)؛ بيت ساحور (ب 4/12)؛ قوره (ب 4/15)؛ السواحة الشرقية (ب 4/16)؛ أبو ديس (ب 4/17)؛ العيزرية (ب 4/17)؛ بيت أمر (ب 4/17). كان الهجوم على مرحلتين أساسيتين: بين 3/29 و4/21، تكثفت العمليات العسكرية واستمرت في المناطق كافة؛ وبين 4/22 (حين كان الجيش الإسرائيلي استكمل انسحابه من معظم المدن الكبرى، بعدما حقق أهدافه) و5/10. خلال هذه المرحلة الثانية استمرت الأعمال الجارية في بيت لحم ورام الله، مع هجمات كبيرة تستمر نهائياً واحداً أو يوماً يشنها الجيش الإسرائيلي على مناطق أخرى لتمشيط جيوب المقاومة. وعلى امتداد العملية كلها، كانت الإغلاقات تفرض على كل المناطق السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية، وظلت حركة التنقل بوسائل المواصلات

الفلسطينية كلها محظورة (بدءاً من 3/5) ولم تشمل العمليات غزة وأريحا، بحيث نشأت تقديرات بأن شارون كان في صدد إحياء أفكار الدولة الفلسطينية المصغرة المقصورة على غزة وحدها، أو صيغة معدلة لاتفاق غزة - أريحا سنة 1994 باعتباره وضعاً نهائياً. كما أن منطقة الخليل الفلسطينية نجت من الهجوم وذلك بأن الجيش الإسرائيلي لم يكن قادراً، فيما روي، على ضمان سلامة المستوطنين الـ 400 هناك خلال هجوم شامل.

### عملية "الطريق الصارم" (Determined Path) شنت في 2002/6/18

إعادة احتلال كل المدن الكبرى في الضفة الغربية (باستثناء أريحا): إنهاء التمييز الإسرائيلي بين المنطقة أ (الخاضعة للسيطرة الفلسطينية) والمنطقتين ب وج (الخاضعتين للسيطرة الإسرائيلية الجزئية أو الكلية): قتل 29 فلسطينياً على الأقل، وجرح العشرات؛ فرض حظر التجول على 700.000 شخص مدة 24 ساعة؛ اعتقال 2000 خلال الشهر الأول وحده.

أدى التزايد البطيء والمطرد في العنف الفلسطيني عقب هجمات إسرائيل في ربيع سنة 2002 إلى تدني شعبية شارون جرّاء إدراك الإسرائيليين لعجزه عن توفير الأمن. ومع تنامي الضغوط الدولية على إسرائيل وعلى السلطة الفلسطينية لاستئناف المفاوضات والاتفاق على وقف إطلاق النار، كان الجمهور الإسرائيلي يطالب بتدابير أشد قسوة. وعلى هذه الخلفية أودت عملية استشهادية نفذتها "حماس"، في القدس يوم 6/18، بحياة 19 إسرائيلياً وإصابة 50 آخرين بجروح. وفي الليلة نفسها، عقد شارون جلسة لحكومته، أقرت فيها عملية "الطريق الصارم" التي سترد إسرائيل بموجبها "على الأعمال الإرهابية باحتلال أراض فلسطينية... كما أن المزيد من الأعمال الإرهابية ستؤدي إلى أخذ المزيد من المناطق". وتعهدت الحكومة بأن تتمسك إسرائيل بالمناطق الفلسطينية ما دام استمر العنف، ولن تنسحب منها "بسرعة" كما فعلت في عملية "السور الواقي". أرسل الجيش الإسرائيلي قوات إلى جنين وطوق القرى في 6/18 من قبل أن تتم الموافقة الرسمية على العملية. وأعيد احتلال أجزاء كبيرة من قلقيلية في 6/19، وبيت لحم في 6/20، ونابلس وطولكرم في 6/21، ورام الله في 6/24، والمناطق الفلسطينية من الخليل في 6/25. وحدها أريحا ظلت مطوقة وغير محتلة. ومنذ هذه النقطة تلاشى أي تمييز إسرائيلي متبقي ما بين المنطقة أ (سيطرة تامة للسلطة الفلسطينية)، والمنطقة ب (سيطرة مدنية للسلطة الفلسطينية وسيطرة أمنية إسرائيلية)، والمنطقة ج (سيطرة إسرائيلية كاملة). ظلت الولايات المتحدة، حتى أواسط شباط/فبراير 2003، تضغط بوضوح على إسرائيل كي تنسحب من المدن، لكن في ذلك الوقت أصبحت الأخيرة مطلقاً لليديين في الضفة الغربية وقطاع غزة وبات ذلك أمراً واقعاً. ومنذ ذلك التاريخ راح الجيش الإسرائيلي يقوم باجتياح المناطق الفلسطينية عندما يحلو له، ويمكث فيها عدة أيام في كثير من الأحيان، لكن من دون أن يعيد احتلال التجمعات السكانية. ولم يعلن رسمياً قط انتهاء العملية.

### عملية "مسألة وقت" (Matter of Time)، 2002/9/29 - 9/19

هجوم على مقار عرفات (المقاطعة)، وبداية عمليات تقويض المنازل؛ مقتل خمسة فلسطينيين<sup>(3)</sup>. رداً على سلسلة من الهجمات الفلسطينية الكبرى، في 18 و2002/9/19، أودت بحياة 8 إسرائيليين، وجرحت أكثر من 50 آخرين، شنت إسرائيل عملية "مسألة وقت" التي هدفت إلى عزل عرفات تحديداً (كان شارون يريد، فيما روي، أن يطرد عرفات إلى غزة أو إلى الخارج، وكان لدى الجيش الإسرائيلي خطط عملانية منذ 8/17 للقبض عليه وإبعاده إلى بلد ثالث، غير أن أعضاء التحالف الحكومي المنتمين إلى حزب العمل لم يؤيدوا هذه الفكرة). أعاد الجيش الإسرائيلي فرض حظر التجول مدة 24 ساعة على كل مناطق الضفة الغربية باستثناء الخليل، وأرسل دبابات إلى رام الله لتطويق مكاتب عرفات، وبدأ يقوض معظم المقار. وفي النهاية، تراجعت إسرائيل تحت ضغط الولايات المتحدة التي لم تكن تريد أن تقوم إسرائيل بشن عملية كبرى في أثناء استعداد الأولى لشن حربها العتيدة على العراق.

### عملية "الطليعة"، 2002/11/10 - 10/25

غارات مكملة على جنين؛ مقتل 3 فلسطينيين، وإصابة 11 على الأقل، واعتقال العشرات، وتقويض 7 منازل.

في 10/25 شن الجيش الإسرائيلي عملية امتدت أسبوعين لإعادة احتلال مدينة جنين ومخيمها وتطهيره من المناضلين الفلسطينيين عبر التفتيش من بيت إلى بيت، وعبر حملات اعتقال، وتقويض منازل. كان مخيم جنين مكان سكن استشهادي ينتمي إلى الجهاد الإسلامي مسؤول عن مقتل 14 إسرائيلياً وجرح 40 في الخضيرة يوم 2002/10/21.

### عملية "قناة الجذر"، 10/10 - 2003/10/19

هجوم على رفح وغزة "بحثاً عن أنفاق المهربين": احتلال شريط على امتداد الحدود مع مصر: مقتل 17 فلسطينياً، وجرح أكثر من 100 فلسطينياً، وجرح جندي إسرائيلي: تقويض أكثر من 300 منزل فلسطينياً، أو إصابتها بأضرار جسيمة.

من تشرين الثاني/نوفمبر 2002 حتى تشرين الأول/أكتوبر 2003 لم تُشن أية عمليات كبرى. واستمر العنف المتبادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين لكنه ظل ضمن حدود معينة وضعتها الجهود الدبلوماسية لإحياء عملية السلام (ولا سيما خطاب بوش السياسي، في 2002/6/24، الذي دعا فيه، من جملة أشياء أخرى، إلى إقامة دولة فلسطينية قادرة على الحياة بحلول سنة 2005، ومبادرة خريطة الطريق في 2003/4/30)، والانتخابات الإسرائيلية (أجريت في 2003/1/28، مع تسلم حكومة شارون الجديدة زمام السلطة في 2003/2/27)، وجهود السلطة الفلسطينية للإصلاح، وحرب الولايات المتحدة على العراق (شنت في 2003/3/19). لكن بحلول أيلول/سبتمبر 2003، ومع موت خريطة الطريق فيما يبدو، ووصول جهود السلطة الفلسطينية للإصلاح إلى طريق مسدود (انهارت حكومة محمود عباس في 2003/9/6)، واحتلال قوات التحالف الأميركي العراقي، بات في إمكان إسرائيل استئناف الضغط على الفلسطينيين. في 10/10، وبعد شهر من تصعيد العمليات بشكل صارخ، شن الجيش الإسرائيلي عملية "جذر القناة"، مرسلًا نحو 100 دبابة إلى رفح تحت ستار البحث عن المهربين إلى مصر. استولى الجيش على شريط على امتداد الحدود بين رفح ومصر يمتد عبر يبني، وأحياء كتلة J وكتلة O، وأمر الفلسطينيين في "منطقة خط الجبهة" هذه بإخلاء منازلهم، وجرف المباني بغية إيجاد منطقة خالية على امتداد الحدود بعمق 150 متراً، فاصطدم بأفراد كتائب شهداء الأقصى و"حماس" الذين حاولوا إيقاف تقدمه. لم تغلق إلا ثلاثة أنفاق خلال العملية. انسحب الجيش الإسرائيلي "ليعيد تجميع قواته وتنشيطها" في 10/19، منهيًا العملية رسمياً.

### عملية "المياه الراكدة" (Still Water)، 2003/12/18 - 2004/1/6

هجوم على نابلس ومخيم بلاطة "لتفكيك البنية التحتية للإرهابيين": مقتل 16 فلسطينياً، وجرح 25 على الأقل، واعتقال العشرات، وتقويض 10 منازل.

في أواسط تشرين الثاني/نوفمبر 2003، بدأ شارون يناقش جيداً انسحاباً إسرائيلياً أحادي الجانب من غزة، متعهداً في خطاب سياسي أساسي يوم 2003/12/18 أنه إذا لم يوقف الفلسطينيين العنف كلياً في غضون "بضعة شهور"، فإنه سيوقف كل مناقشة لإحياء المفاوضات، ويحدد "خطوط إسرائيل الأمنية" من جانب واحد. وفي اليوم نفسه، شنت إسرائيل عملية "المياه الراكدة" التي تهدف إلى استئصال المناضلين الفلسطينيين وتفكيك "البنية التحتية للإرهابيين" في نابلس ومخيم بلاطة المجاور لها (نظراً إلى كون نابلس وجنين النقطتين الأكثر سخونة). فرض الجيش حظر تجول لـ 24 ساعة، وقام بحملات اعتقال، وأطلق النار على المناطق السكنية والمسلحين الفلسطينيين الذين حاولوا صدّه، وهدم منازل الفلسطينيين المتورطين في هجمات على الإسرائيليين. وكانت العملية هي الأولى في سلسلة تهدف إلى ضرب الفلسطينيين للرضوخ للمطالب الإسرائيلية، أو إلى إبادة الجماعات النضالية وتعزيز السيطرة الأمنية على المراكز السكانية الفلسطينية قبل الانسحاب إلى "خطوط أمنية" جديدة.

### عملية "القصة المتواصلة" (Continuous Story)، 3/15 - نحو 2004/4/5

غارات، وعمليات اغتيال، وجرف منازل في غزة، ولا سيما في رفح، للقضاء على "شخصيات بارزة من المنظمات الإرهابية كافة". مقتل 37 فلسطينياً، وجرح 80 على الأقل، وتقويض 111 منزلاً أو إصابتها بأضرار جسيمة، وجرف أكثر من 100 دونم من الأراضي. في 2004/2/23، أعلن شارون أنه لما كانت السلطة الفلسطينية أخفقت في وقف كل أشكال العنف، فإنه

سيطلب من بوش أن يعترف بخطوط إسرائيل الأمنية في الأراضي المحتلة باعتبارها "ترتيباً انتقالياً طويل الأجل". وفي 3/1، أرسل شارون فريقاً إسرائيلياً إلى واشنطن ليتناقش مع كبار المسؤولين الأميركيين في الخطوات العملية لقيام إسرائيل بانسحاب أحادي الجانب من غزة. وفي 3/2، أعلن الجيش الإسرائيلي خطأً للقضاء على أكبر عدد ممكن من الإرهابيين "في غزة قبل الانسحاب الأحادي الجانب، وكثف العمليات على امتداد غزة تبعاً لذلك. وعقب عملية استشهادية نفذتها "حماس" يوم 3/14 في مرفأ أشدود (انطلقت من غزة، 11 قتيلاً، و20 جريحاً)، أقرت الحكومة الإسرائيلية الأمنية المصغرة عملية "القصة المتواصلة" ضد المناضلين الفلسطينيين في غزة وتعهدت بتنفيذ الاغتيالات و"وسائل أخرى أيضاً - كل ما يمكننا عمله من أجل القضاء على البنية التحتية التي تغذي نشاطات المنظمات الإرهابية". وقد سُمح لقوات الجيش الإسرائيلي وعناصر الشين بيت بأن "يعملوا من دون قيود ضد الشخصيات البارزة في المنظمات الإرهابية كافة".

وابتداءً من 3/15 وطوال الأسابيع الثلاثة التالية، ضاعف الجيش الإسرائيلي عمليات الاغتيال، وجرف الأراضي، والغارات، وتقويض المنازل في أنحاء قطاع غزة (ولا سيما رفح)، واغتال بصورة خاصة الزعيم الروحي لحركة "حماس"، الشيخ أحمد ياسين، في 3/22. خففت إسرائيل عملياتها في 4/5 من أجل عطلة الفصح اليهودي، واستبقاً لاجتماع مرتقب بين بوش وشارون في واشنطن في 4/14، غير أنها شددت القيود على حركة الفلسطينيين في غزة وأغلقت القطاع. ولم يعلن رسمياً قط انتهاء عملية "القصة المتواصلة"؛ ويمكن اعتبار 4/5 نهاية لها، أو نهاية للمرحلة الأولى منها.

### عملية "قوس قزح" (Rainbow)، 5/13 - 2004/5/24

عمليات هجوم وجرف أراض في رفح ومخيم البرازيل وغزة، لتوسيع الشريط بمحاذاة الحدود المصرية بالترابط مع خطة شارون للانسحاب الأحادي الجانب. 43 قتيلاً فلسطينياً على الأقل، ومئات الجرحى، وتهجير الألوف، وتقويض 167 منزلاً، أو إصابتها بأضرار جسيمة، وجرف 725 دونماً من الأرض (181 أكر).

في 2004/4/17، وبعد بضعة أيام من اجتماع بوش - شارون في 4/14 في واشنطن، حيث رحب بوش بخطة شارون للانسحاب الأحادي الجانب من قطاع غزة، اغتالت إسرائيل عبد العزيز الرنتيسي الذي تزعم "حماس" بعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين، متسببة بتصاعد العنف الإسرائيلي - الفلسطيني. وبعد صدام عنيف جداً بين الجيش الإسرائيلي وأفراد من "حماس" والجهاد الإسلامي في أثناء غارة إسرائيلية على مدينة غزة في 11 و12/5 أسفر عن مقتل 15 فلسطينياً و6 جنود إسرائيليين ونحو 170 جريحاً فلسطينياً، هاجم الجهاد الإسلامي (5/12) قافلة للجيش الإسرائيلي تعمل في المنطقة العازلة الإسرائيلية (طريق فيلادلفي) على امتداد الحدود بين رفح ومصر، وقتل 5 جنود إسرائيليين وإثنين وجرح 3. ورداً على ذلك شن الجيش الإسرائيلي عملية جرف واسعة للأراضي في رفح، شبيهة بعملية "قناة الجذر"، لكنها أوسع منها نطاقاً لتوسيع طريق فيلادلفي. بين 13 و15/5 خلّفت العملية التي لم تكن سميت بعد 12 قتيلاً فلسطينياً، ونحو 300 جريح، وألوف المهجرين، ونحو 80 - 120 بيتاً مهدماً. وفي 5/15، أمرت المحكمة العليا الإسرائيلية بوقف جرف الأراضي بانتظار الحكم في عريضة رفعتها منظمات حقوق الإنسان الفلسطينية تحتج فيها على شرعية العملية استناداً إلى الضرورات العسكرية. وبعدما حكمت المحكمة في 5/16 أن هناك "حاجة حقيقية ملحة" لتوسيع المنطقة العازلة، استأنف الجيش الإسرائيلي في 5/17 عمليات الهدم، وأرسل 1000 جندي و100 دبابة وجرافة مدرعة إلى رفح ومخيم البرازيل المجاور لها، وأطلق رسمياً على الهجوم اسم عملية "قوس قزح". واستمر جرف الأراضي حتى 5/24، إذ انسحب الجيش الإسرائيلي ليعيد تجميع قواته. ثم استؤنف الجرف الواسع النطاق في رفح يوم 5/28، لكن لم يعتبر رسمياً بمثابة متابعة لعملية "قوس قزح".

### عملية "الضغط الخائق" (Full Court Press)، شنت في 2004/6/23

اجتياحات واسعة النطاق داخل نابلس للقضاء على "البنية التحتية للإرهابيين". مقتل 11 فلسطينياً، وجرح 55 في المرحلة الأولى.

عقب اعتقال إسرائيل في 2004/6/22 في القدس لأحد أعضاء كتائب شهداء الأقصى في نابلس زُعم أنه

يخطط لعملية استشهادية، شن الجيش الإسرائيلي في 6/23 غارة كبرى على نابلس معلناً بداية عملية فول كورت، التي استهدفت كتائب شهداء الأقصى. وخلال الغارة الأولى (23 - 6/27)، اغتال الجيش الإسرائيلي ستة من أفراد كتائب شهداء الأقصى وعضواً في الجهاد الإسلامي. بعد ذلك، بدأ الجيش نمطاً من الاجتياحات شبه اليومية لنابلس وبلاطة وبيت فوريك لعدة أسابيع للقضاء على "البنية التحتية المحلية للإرهابيين". واشتملت العملية على غارات واعتقالات، وتفتيش منازل، واغتيالات متقطعة. ولم تعلن قط نهاية العملية رسمياً، غير أن الإغارة على نابلس حتى أيلول/سبتمبر 2004 كانت توصف بأنها جزء من العملية. ونظراً إلى كون الإطار الزمني غير محدد، ونظراً إلى كون الإغارة لم تختلف عن هجمات الجيش الإسرائيلي المألوفة في أماكن أخرى، فإن أي إحصاء شامل لمجموع الإصابات غير متوفر لدينا.

### عملية "الدرع الفعالة" (Active Shield)، 2004/8/5 - 6/28

عمليات جرف في شمال غزة (بيت حانون ومخيم جباليا) لتوسيع المنطقة العازلة المحاذية لإسرائيل وسحق المقاومة. مقتل 22 فلسطينياً على الأقل، وجرح 200، وتفويض 15 منزلاً، وتمشيط نحو 3900 دونم أرض (975 أكر).

كانت عملية "الدرع الفعالة" الشبيهة بعملية "قوس قزح" في شمال غزة، تهدف إلى وقف إطلاق الصواريخ على إسرائيل. غير أن غايتها الحقيقية كان توسيع المنطقة العازلة على امتداد الحدود الشمالية مع إسرائيل، وسحق المقاومة الفلسطينية هناك استباقاً للانسحاب الأحادي الجانب. فرض الجيش الإسرائيلي حظر التجول لـ 24 ساعة على بيت حانون ومخيم جباليا لخمسة أسابيع، وأطلق النار على كل من يخرج من منزله، وجرف أهم شرايين المواصلات، والمنازل ومساحات واسعة من الأراضي الزراعية لخلق منطقة بمساحة 8 كم من الأرض الخالية حول الموقعين.

### عملية لتوسيع المنطقة العازلة شمال غزة، 2004/9/11 - 9/8

متابعة عمليات جرف الأراضي في شمال غزة. مقتل 8 فلسطينيين، وجرح 100، وتدمير 50 منزلاً أو إصابتها بأضرار جسيمة، وجرف 90 دونماً من الأرض (23 أكر). تستراً بالرد المزعوم على إطلاق المزيد من صواريخ "حماس" من شمال غزة على إسرائيل (أصيبت سيارة إسرائيلية بأضرار من دون وقوع أية إصابات)، قام الجيش الإسرائيلي باجتياح دام أربعة أيام لبيت حانون وبيت لاهيا وجباليا مطلقاً نيران المدافع الكثيفة على المناطق السكنية، ومواصلاً عمليات جرف الأراضي لتوسيع المنطقة العازلة في توسع ظاهر لعملية "الدرع الفعالة".

### عملية "أيام الندم" (Days of Pentence)، 2004/10/15 - 10/1

هجوم بري لاستئصال "البنية التحتية للإرهابيين" والضغط على السكان المدنيين في غزة، ولا سيما في الشمال. مقتل 86 فلسطينياً (يصل العدد إلى 119 عندما يضم إليهم القتلى في الساعات الأربع والعشرين السابقة، قبل إعلان العملية رسمياً، و235 جريحاً على الأقل، وتفويض 195 منزلاً أو إصابتها بأضرار جسيمة، وجرف 1000 دونم من الأراضي (250 أكر).

في أواخر أيلول/سبتمبر 2004، صعد الفلسطينيون عمليات إطلاق الصواريخ من شمال غزة على المستعمرات اليهودية القريبة وعلى إسرائيل. ومع أن الأضرار كانت ضئيلة، فقد كثف الجيش الإسرائيلي هجماته على بيت حانون، وبيت لاهيا، وجباليا وتزايد الرد بإطلاق الصواريخ. وعندما أدى صاروخ أطلق على سديروت في 9/29 إلى قتل إسرائيليين، ضرب الجيش الإسرائيلي البلدات والأماكن الفلسطينية بعنف، وأشعل صدامات عنيفة. فخلال الأربع والعشرين ساعة التالية قتل 33 فلسطينياً، وجنديان إسرائيليان، ومستوطن يهودي، في تبادل النيران، وجرح نحو 200 فلسطيني، ودمر 22 منزلاً فلسطينياً. وفي وقت متأخر من 9/30 أقرت الحكومة الأمنية الإسرائيلية عملية "أيام الندم"، وهي هجوم بري مطول يهدف إلى "الضغط بشدة على السكان المدنيين الفلسطينيين في غزة كي يرغمهم على الحؤول دون إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل نفسها". تحسين دفاعات المستعمرات

في المنطقة: استئصال "البنى التحتية للإرهابيين": الاستيلاء على شريط ساحلي مساحته 9 كم<sup>2</sup> ومنطقة عازلة عمقها 10 كم على طول الحدود الفاصلة مع إسرائيل. وفي 10/1 أرسل الجيش الإسرائيلي 2000 جندي مع 300 دبابة وجرافة مدرعة لتطويق وتفتيش قرى شمال غزة ومخيماتها، وفرض حظر التجول لـ 24 ساعة، وقطع الكهرباء والماء. وتحت الضغط الدولي الكثيف والمخاوف داخل الجيش الإسرائيلي من أن تصبح العملية عبئاً على العلاقات العامة، انسحب إلى مشارف القرى في 10/15 (أول رمضان)، منهيًا العملية.

## عملية "الورقة الجديدة - اليوم التالي" (New Leaf - The Day After), 11/12 - 2004/11/16

تدابير منسقة للحفاظ على الهدوء عقب وفاة عرفات. لا إصابات.

بعد وفاة عرفات في 10/11/2004، نفذ الجيش الإسرائيلي عملية "الورقة الجديدة - اليوم التالي" (المعدة خلال السنة السابقة) لتوفير درجة عالية من الأمن مع "الحفاظ على كرامة الفلسطينيين" خلال جنازة رام الله وأيام الحداد الثلاثة، وأعلن ما يلي: حال الطوارئ؛ إغلاق الأراضي المحتلة حتى 11/16؛ الانسحاب من كل المراكز السكانية في الضفة الغربية؛ تعزيز حضور الجنود في محيط رام الله والطريق إلى القدس؛ تسهيل دخول فلسطيني الضفة الغربية إلى رام الله من أجل الجنازة؛ السماح لضباط السلطة الفلسطينية في رام الله بأن يحملوا السلاح من أجل إبقاء الحشود تحت السيطرة. انخفض العنف إلى ما يقارب الصفر خلال العملية. واستأنف الجيش الإسرائيلي هجماته في 11/17.

### (ب) الخسائر في الذكرى الرابعة لانتفاضة الأقصى:

#### جدول إحصائي مقارن

[...] تتباين أرقام الإصابات وغيرها من الخسائر غالباً أشد التباين من مصدر إلى مصدر، وأحياناً من تقرير إلى تقرير صادر عن المنظمة نفسها. وقد أضحى رصد الإصابات والأضرار أصعب بصورة ملحوظة، وخلافاً في الحقيقة، بعدما شنت إسرائيل عملياتي "الرحلة الملونة" و"السور الواقعي" في ربيع سنة 2002، عندما تصاعد مستوى العنف وإيقاعه بشكل دراماتيكي، واشتدت القيود الإسرائيلية على الحركة في الأراضي المحتلة. ونتيجة ذلك، توقفت عدة جماعات عن إصدار إحصاءات شاملة للخسائر توقعاً تاماً، بينما كف غيرها عن جمع المعطيات المحددة (كعدد الإصابات، والأشجار المقتلعة، والمنازل المهدامة). وتوقف المزيد من الجماعات سنة 2003 مع تشديد إسرائيل قيودها على المنظمات الدولية. ولمّا بات من الصعب الحصول على المعطيات النهائية الموثوق بها، فإن الجدول المبين أدناه يعرض المعطيات خلال الأعوام الأربعة الأولى من الانتفاضة، كما أوردتها منظمات حقوق الإنسان المحترمة (من إسرائيلية، وفلسطينية، ودولية)، والجيش الإسرائيلي، والسلطة الفلسطينية، والأمم المتحدة، والإحصاء الذي قامت به مجلة *Journal of Palestine Studies*، إضافة إلى بعض التفسيرات بالنسبة إلى التباينات. وقد أصدرت مجلة *Journal of Palestine Studies* وثائق متشابهة تغطي السنوات الأولى (Doc. A7 in JPS 122)، والثانية (Doc. A2 in JPS 126)، والثالثة (Doc. A3 in JPS 130) للانتفاضة.<sup>(6)</sup>

### الخسائر في الذكرى الرابعة لانتفاضة الأقصى

بتسليم الحق	معهد الإعلام	الجيش	<i>JPS</i> *	نجمة داود	الميزان	مفتاح
السلطة	المركز الفلسطيني	الالهلال الأحمر	الأمم المتحدة	التراوح (Range)	الحمراء	
الفلسطينية	والسياسات	الإسرائيلي	الفلسطيني			
لحقوق الإنسان	الفلسطينيون					
2859	3044	3334	3588	1621	3659	2872
قتلى						

					3659 – 2859	3437	3234	
278	290	53	273		238	385	123	اغتيال
						385 – 238		
		92	76		41	40		حرمان من العناية الطبية
					92 – 40		66	
19.667	42.345	27.638			53.000	27.600		جرحي
					53.000 – 19.667	33.770	22.770	
	3530				2500			عاهة مستديمة
					3530 – 2500			
					8000	8000	7366	في قيد الاعتقال
					8000 – 7366			
								<b>الإسرائيليون</b>
942		973	885	930	989	1008	919	قتلى
						1008 – 885		
			5780		6709			جرحي
					6008 – 5961	5961	6008	
								<b>أضرار مادية</b>
					720	542	3700	منازل مدمرة
	7437	2385						منازل متضررة
				7437 – 2385	2751		2441	
		3512			11.553			أشجار مقتلعة
				11.553 – 2105			2105	
	1.17م							أراض مجروفة
				1.17م			382.695	
242.425	28.292							(بالدونمات)
				242.425 – 28.292	52.000		29.813	
	4.5 مليارات			3.2 مليارات –				<b>إجمالي الخسائر الفلسطينية</b>
	3.2 مليارات – 19.9					19.9 مليار		
دولار			دولار		10 مليارات دولار			
					مليار دولار			

*Journal of Palestine Studies.* (\*)

(ج) الهجمات الاستشهادية الفلسطينية خلال الأعوام الأولى لانتفاضة

الأقصى، 28 أيلول/سبتمبر 2000 – 27 أيلول/سبتمبر 2004

وقعت أول عملية تفجير استشهادية مؤكدة في الأراضي المحتلة في 14 أيلول/سبتمبر 1993 في أعقاب اتفاق أوسلو، ثم تلتها ثلاث عمليات قبل نهاية تلك السنة. ولم تتسبب هذه العمليات الأربع (3 لـ "حماس"، واحدة للجهاد

الإسلامي) بأية وفيات (أرقام الإصابات كلها تستثنى المفجرين) وإنما بـ 31 إصابة. وبعد فترة انقطاع دامت أربعة شهور، استؤنفت العمليات الاستشهادية في نيسان/أبريل 1994، ونتجت من المجزرة التي ارتكبها المستوطن الإسرائيلي باروخ غولدشتاين في شباط/فبراير 1994 والتي أودت بحياة 29 مصلياً فلسطينياً في الحرم الإبراهيمي. وفي الإجمال، شنت 5 عمليات تفجير (4 لـ "حماس"، وواحدة للجهاد الإسلامي)، في سنة 1994، خلفت 40 قتيلاً و144 جريحاً. ووقعت 22 عملية استشهادية (11 لـ "حماس"، أو منتسبين إلى "حماس"؛ 4 للجهاد الإسلامي؛ و2 مشتركين بين الحركتين؛ 5 لم يدعها أحد) بين سنة 1995 وسنة 2000، أسفرت عن 97 قتيلاً و844 جريحاً. ومن اللافت أن التفجيرات الاستشهادية تراجعت تراجعاً حاداً، إذ بدأ أن عملية السلام تحقق بعض النتائج. وهكذا، لم تقع أية عمليات قط على امتداد أكثر من عام، بين أيلول/سبتمبر 1997 وتشرين الأول/أكتوبر 1998. ومن أيلول/سبتمبر 1997 حتى اندلاع انتفاضة الأقصى، كانت حصيلة خمس عمليات استشهادية (4 لم يدعها أحد، وواحدة للجهاد الإسلامي) وقوع قتل و25 جريحاً. وبلغ مجموع الإصابات جرّاء 31 هجوماً استشهادياً وقع في الأراضي المحتلة حتى اندلاع انتفاضة الأقصى 137 قتيلاً و989 جريحاً.

[.....]

تنطوي الهجمات غير التفجيرية، عادة، على تسلل بعض الأفراد إلى المستعمرات الإسرائيلية أو مواقع الجيش الإسرائيلي مسلحين ببنادق وأحياناً بقنابل، كما أنها اشتملت أيضاً على طعن بالسكاكين، ودهس الأشخاص بالسيارات. وقد بدأت في آب/أغسطس 2001، مع تكثيف إسرائيل عملياتها العسكرية (أنظر الوثيقة أ في هذا القسم)، ولا سيما بعد اغتيال إسرائيل الزعيم أبو علي مصطفى، الأمين العام للجهة الشعبية لتحرير فلسطين، في 27 من الشهر نفسه. وبلغ المجموع 219 هجوماً استشهادياً فلسطينياً (تفجيراً وغير تفجيري) خلال الأعوام الأربعة الأولى للانتفاضة. خلفت 650 قتيلاً و3277 جريحاً، أي ما نسبته قرابة 23٪ من مجموع القتلى الإسرائيليين ونصف عدد الجرحى.

ومن الجدير بالملاحظة أن المنظمات كثيراً ما لا تنسب إلى نفسها مسؤولية الهجمات التي لا يقتل فيها إلا المهاجم، ومن هنا فإن الهجمات التي لم يدع المسؤولية عنها أحد ليست بالضرورة من عمل أفراد لا ينتمون إلى أية منظمة. وفي بعض الحالات ادعت عدة منظمات المسؤولية من دون الإشارة إلى كون العملية مشتركة، بحيث يصعب تحديد المسؤولية عنها. وفي الحالات القليلة التي لم يدع المسؤولية فيها أحد نسب الجيش الإسرائيلي العملية إلى إحدى المنظمات؛ أمّا إذا لم يتم التأكد من تقرير الجيش الإسرائيلي، فإن مجلة *Journal of Palestine Studies* تدرج الهجوم في جملة الهجمات المجهولة الفاعل مع الإشارة إلى رأي الجيش الإسرائيلي. وما لم يلحظ خلاف ذلك، فإن الهجمات الاستشهادية كانت تنفذ على يد شخص واحد. [...] علاوة على ذلك كان عدد لا يستهان به من الذين قتلوا في الهجمات داخل إسرائيل جنوداً في الجيش الإسرائيلي وأفراد قوى الأمن (مثلاً، قتل 14 جندياً في هجوم مجدو في 2002/6/5، كما قتل 7 جنود في هجوم رشون لتسيون في 2003/9/9). ولما كانت تغطية هويات الإصابات متقطعة، لم يبذل أي جهد لتصنيف الذين قتلوا وجرحوا؛ ويمكن للقراء العودة إلى *Journal of Palestine Studies Chronologies* من أجل المزيد من التفاصيل.

■ [.....]

(\*) المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXIV, no. 2 (Winter 2005), pp. 85-

122.

تم جمع المعطيات من اليوميات، وتقارير مراقبي السلام، والتحديثات الفصلية في *JPS* (الأعداد 118 - 134).

(\*\*) مديرة تحرير *JPS*.

- (1) أنظر: Akiva Eldar, "Popular Misconception," *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXIV, no. 2 (Winter 2005), pp. 143-146.
- (2) في هذه الحالة تتضمن أرقام الإصابات الإسرائيليين الذين قتلوا في العمليات الاستشهادية التي قامت بها كتائب شهداء الأقصى والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في إسرائيل وفي الأراضي المحتلة، لأن إسرائيل كانت تنظر بوضوح إلى هذه الهجمات باعتبارها تستدعي رداً عنيفاً ضمن عملية "الرد المتدرج".
- (3) لا يشمل هذا العدد على ثلاثة فلسطينيين قتلوا في أماكن أخرى من الأراضي المحتلة خلال التظاهرات ضد عملية "مسألة وقت".
- (\*) فيما يتعلق بمراجع هذا الجدول، وتفصيلات كيفية الحصول على هذه الأرقام، نحيل القارئ على النص الأجنبي لهذا التقرير في: *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXIV, no. 2, Winter 2005, pp. 98-103.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)